زغردت بنت الأكابر ..

أبشر ! ومثلك للبشائـرْ : بين السـواعد والسـرائرْ
وانفض رخام الموت ، وانهض من ترابك يا «ابن عامرْ»
أولم يـزلـزل قلبـك المغـدور زلـزال الحنـاجـرْ
من دَرْدَبـات الصيِّـد في فجـر الإرادات المصـائـرْ
حضنتْ زغـاريـد الحسـان النصـرويَّـات الحـرائـرْ
العائدات وقد قطعنـك ، آخ ، في ليل المجـازر(*)
نـادتكَ «نـاصرة» الجليـل ، وزغردتْ بنت الأكـابرْ
فانفض تراب الموت وانهض من ضريحك يا «ابن عامر» !
طالت ليالي الشوق والحرمـان ، يا حبي المهـاجر

طالت وإنّي صابر ، يا سيدي ، في النار صابر
طالت ، ولاسمك أورقت من طول تعديدي المنابر
وعلى جبيني اطفأ السجان الاف السجائر
واذا شكوت فللطغاة ، وعدت والطغيان سادر
فليكتسح غضبي قتام سجونهم ، والنهر هادر
أنا مشترٍ عُدد التحدي .. فلتبع أُمي الأساور !

ماذا على المظلوم ، صاحَ: «اما لهذا الليل آخر؟»
ماذا على المقهور لو هزّ العصا في وجه قاهر ؟
ماذا على القتلى إذا هُم زلزلوا ليل المقابر ؟
ماذا عليكَ ، وقد أدرت على الطواغيت الدوائر ؟
ماذا عليك ؟ سلمتَ يا شعب المنافي والمخافر
شعبي ! سلمت مصدِّعاً أنيابَ تنّينٍ مُغامر

حَيَّتك ناصرةُ الجليل ، وزغردتْ بِنتُ الأكابر
فارفعْ على الليل المنائر : باسم الأوائل والأواخر
وليسمع الظُلّامُ صوتك : «قادرٌ ، أنا ألفُ قادر» !

سـأرد كيـد الكـائـدين بكـلِّ ثـائـرةٍ وثـائـرْ
وأصيح بالشمس : آبشري يا شمس! هذا الليل عابر!
واصيحُهـا «وطني» بملءِ فمي .. وأهـزأ بـالـظواهـر

وَطَني ! ويـا طفـلاً تمـزِّقـهُ الأظـافـر والخنـاجـر
لتـرابـك الـدامي أنـاشيـدي .. وللشمس القيـاثـر
فليهـرفِ الفـاشست .. حسْبُـك انهم هـاذٍ وهـاذر
أللهِ اعـطَاهُم تـرابـك ؟ فـاستفيقي يـا ضمـائـر
لـو صحَّ أن الله أعـطاهم .. أنا بـالله كـافـرٌ !

ألأرضُ ، يا عمِّي ، تدور .. ومِقودُ التاريـخ دائر
فليلغط المتشـدِّقـون الغُـبر ، من فـدمٍ وقـاصـر
وليحشـدوا للزور والبهتان .. حَشـد الحقِّ ظافـر !

فـولاذُهم يدمى ، إذا أنشبت يـا شعبي الأظـافـر
والنقـع منحسـرٌ .. ويُحصى كـل كسَّـابٍ وخـاسـر
فانفُض رخام الموت .. وانهض من ضريحك يا «ابن عامر!»
نـادتك نـاصرةُ الجليـل ، وزغـردت بِنتُ الأكـابـر

(عام ١٩٧٠ تلقّى الشّاعر دعوة من اتحاد الطلبة العراقيين في اوروبا للمشاركة مع محمد مهدي الجواهري في مؤتمرهم المنعقد في مدينة روستك الالمانية الديمقراطية ، الواقعة على شاطىء البلطيق . لبّى الشاعر الدعوة وألقى هذه القصيدة التي يعارض فيها قصيدة الجواهري الشهيرة . وقد كتب سميح القاسم هذه القصيدة في غمرة الأنباء الواردة من العراق آنذاك، عن تعذيب الوطنيين واختطافهم وقتلهم. حال المرض دون مشاركة الجواهري في المؤتمر ولكن بعد حين التقى الشاعران في مدينة براغ فقال الجواهري: حدّثوني كثيراً عن قصيدتك وأودّ لو أسمعها. قال سميح القاسم: هذا حقك وواجبي .. إذن فاسمع.

من حين لآخر كان ابو الفرات يقاطع صاحب القصيدة تحبباً :
« أعد ، أعد يا عدوّ الله! »)